

{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ}

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنُسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَلِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} {إل عمران: ١٠٢}.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ الْقَصَصِ، وَأَكْثَرَهُ نَفْعًا، وَأَعْظَمَهُ حِكْمَةً وَأَنْثَرًا، مَا قَصَّه اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ، قَالَ تَعَالَى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِينَ} [يوسف: ٣]، فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ عِبْرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ، وَتَذَكُّرَةٌ لَأَفئِدَةِ الْمُؤْمِنِينَ، أُولِي الْقُلُوبِ النَّوِيَّةِ، وَالْعُقُولِ الزَّكِيَّةِ.

وَكَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: أَمْنُ الدِّيَارِ، وَتَقَارُبُ الْقَرَى بَيْنَهُمْ وَالْأَمْسَارِ؛ {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ}، فَكَانَ مُسَافِرُهُمْ لَا يَخْتَاجُ إِلَى حِمْلِ رَاٍ وَلَا مَاءٍ، بَلْ حَيْثُ نَزَلَ وَجَدَ مَاءً وَتَمَرًا، يَقِيلُ فِي قَرْيَةٍ، وَيَبِيتُ فِي أُخْرَى، قَالَ تَعَالَى: {سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ}.

فَاسْتَمَرُّوا عَلَى عَيْشِهِمُ الْهَنِيِّ، وَطَاعَتِهِمُ لِلْمَوْلَى الْعَلِيِّ، إِلَى أَنْ أَغْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ، وَأَزْدَاهُمْ فِي الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ، {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، فَأَعْرَضُوا عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَشَكَرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَعَدَلُوا إِلَى عِبَادَةِ الشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَبَطَرُوا النِّعْمَةَ، وَمَلُوا مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمُنَّةِ، فَطَلَبُوا تَبَاعُدَ دِيَارِهِمْ بَعْدَ قُرْبَاهَا، وَتَمَنَّوْا مَشَقَّةَ الطَّرِيقِ بَعْدَ يُسْرَهَا؛ {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا}، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ، وَالظُّلْمِ وَالشِّقَاقِ، فَحَلَّ عَلَيْهِمْ سَخَطُ الْجَبَّارِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ غَضَبَهُ وَالْبُورَ؛ قَالَ تَعَالَى: {فَاعْرَضُوا

وَمِمَّا قَصَّه اللَّهُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ الْحَكِيمِ قِصَّةُ سَبَإٍ، مُلُوكِ الْيَمَنِ وَأَهْلِهَا، الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ الْعَظِيمَةِ، وَالْخَيْرَاتِ الْوَفِيرَةِ، فَكَانُوا فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ هَنِيٍّ، وَرِزْقٍ وَفِيرٍ جَلِيٍّ، قَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سجدة: ١٠]، فَكَانَ لَهُمَا وَادٍ عَظِيمٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَبَنَى مُلُوكُهُمَا بَيْنَهُمَا سَدًّا عَظِيمًا مُحْكَمًا، تَجْتَمِعُ فِيهِ سُبُلُ أَمْطَارِهِمْ، ثُمَّ يَفْرُقُونَهُ عَلَى بَسَاتِينِهِمْ وَدُورِهِمْ، عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الْوَادِي وَشِمَالِهِ، فَعَرَسُوا الْأَشْجَارَ الْكَثِيرَةَ، وَاتَّمَرَتْ لَهُمُ الْفَاكِهَةُ الْيَانِعَةُ الْجَمِيلَةُ، قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ تَمْشِي تَحْتَ الْأَشْجَارِ، وَعَلَى رَأْسِهَا مِثْلُ، فَيَنْسَاقُ مِنَ الْأَشْجَارِ فِي ذَلِكَ مَا يَمْلُؤُهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحْتَاجَ إِلَى كُلْفَةٍ وَلَا قِطَافٍ؛ لِكثَرَتِهِ وَنُضْجِهِ).

عِبَادَ اللَّهِ: وَبَيْنَمَا أَهْلُ سَبَإٍ فِي الْعِبْطَةِ وَالسُّرُورِ، وَالنَّضْرَةِ وَالْحُبُورِ؛ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِشُكْرِهِ وَطَاعَتِهِ، وَذَكَرَهُمْ بِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ؛ لِيُغَيِّرَ لَهُمْ وَيَرْحَمَهُمْ، فَقَالَ: {كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدًا طَيِّبَةً وَرَبٌّ غَفُورٌ}.

فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ}، الَّذِي أَتَتْ سَدَّهُمْ، وَخَرَّبَ بَسَاتِينَهُمْ؛ {وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ}، فَتَبَدَّلَتِ الْأَشْجَارُ الطَّيِّبَةُ، وَالْيَمَارُ الْهَنِيَّةُ، إِلَى أَشْجَارٍ قَلِيلَةِ النَّفْعِ، كَثِيرَةِ الشُّوكِ، {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ}. عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (جَزَاءُ الْمَعْصِيَةِ الْوَهْنُ فِي الْعِبَادَةِ، وَالضَّبِيقُ فِي الْمَعِيشَةِ، وَالتَّعَسُّرُ فِي اللَّذَّةِ). قِيلَ: وَمَا التَّعَسُّرُ فِي اللَّذَّةِ؟ قَالَ: (لَا يَنَالُ شَهْوَةً حَلَالًا إِلَّا جَاءَهُ مَا يُنْعِصُهُ إِيَّاهَا).

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ سَبَإٍ، وَعَاقَبَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَجُحُودِ نِعْمَتِهِ، {فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَفَأَهُمْ كُلَّ مَمْرُقٍ}؛ أَيُّ: جَعَلْنَاهُمْ حَدِيثًا لِلنَّاسِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ، وَكَيْفَ مَكَرَ اللَّهُ بِهِمْ، وَفَرَّقَ شَمْلَهُمْ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ وَالْأُلْفَةِ وَالْعَيْشِ الْهَنِيِّ، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}؛ صَبَّارٍ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالشَّدَائِدِ، لَا يَتَسَخَّطُهَا، شَكُورٍ لِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فِي طَاعَتِهِ يَصْرَفُهَا.

وَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ يَتَّعِظُ بِمَا قَصَّهُ اللَّهُ مِنَ الْحَبَرِ، وَيَسْتَلْهُمُ مِنْهُ الْجُكَمَةَ وَالْعِبَرَ.

فَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ: وَجُوبُ شُكْرِ النِّعَمِ بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْجَوَارِحِ، قَالَ تَعَالَى لِسَبَّأٍ: {كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ}. قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (نِعَمَ الْعَبْدُ الصَّبَّارُ الشَّاكِرُ، الَّذِي إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ).

وَمِنْ الْحِكَمِ وَالْعِبَرِ: أَنَّ النِّعَمَ تَزُولُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سَبَّأٍ: {ووظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق}. فتأملوا أثر المعاصي، كيف لِأُمَّةٍ مُمَكَّنَةٍ فِي أَرْضِهَا، تَرْفُلُ فِي خَيْرَاتِهَا، وَمَغْفُورَةٌ رَبِّهَا، إِذْ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهَا، وَتَبَدَّلَتْ أَثَارُهَا! قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمِنْ غُفَوَاتِ الْمَعَاصِي أَنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّقَمَ، فَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقَمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اغْتَبِرُوا بِمَا يَجْرِي حَوْلَكُمْ، وَاجْتَنِبُوا أَسْبَابَ الْهَلَاكِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّسَخُّطَ وَالتَّشَكِّيَّ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَالِاسْتِخْفَافَ بِالنِّعَمِ، وَاحْذَرُوا مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ، فَإِنَّهُ غَرَّرَ بِسَبِّائِ حَتَّى أَوْرَدَهُمُ الْمَهَالِكَ؛ {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى صَاحِبِ الْوَجْهِ الْأَنْوَرِ، وَالْجَبِينِ الْأَزْهَرِ، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْعُزَّرِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى هَدْيِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْمَحْشَرِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ؛ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، رَبَّنَا ارْفَعْ عَنَّا الْبَلَاءَ وَالْوَبَاءَ، وَالضَّرَاءَ وَالْبِأْسَاءَ، وَأِدِّمْ عَلَيْنَا النِّعَمَ، وَادْفَعْ عَنَّا النِّقَمَ، وَرَازِكِ نَفُوسَنَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ رَزَاكَهَا، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، اللَّهُمَّ وَفِّقْ أَمِيرَنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَوَاصِيهِمَا لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا مُطْمَئِنًّا، سَخَاءَ رَحَاءٍ وَسَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

لجنة إعداد الخطبة النموذجية لصلاة الجمعة

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَعَصَمَهُ وَأَوَاهُ، قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ دُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الزُّلْفَل: ٢٩].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَصَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَأْنِ قَوْمِ سَبَّأٍ آيَةٌ جَلِيلَةٌ، وَعِبْرَةٌ عَظِيمَةٌ، كَيْفَ تَبَدَّلَ الْعَيْشُ الْهَنِيُّ بِالْحَرَابِ الْجَلِيِّ، وَكَيْفَ حَلَّ الْخَوْفُ وَالذُّعْرُ بَعْدَ الْأَمْنِ؛ لِذَهَابِ الشُّكْرِ،

وَمِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ: الْحَذَرُ الشَّدِيدُ، وَالْخَوْفُ الْأَكِيدُ، مِنْ إِلْفِ النِّعَمَةِ وَاعْتِيَادِهَا، وَطَلَبِ غَيْرِهَا أَوْ الْاسْتِغْنَاءِ بِهَا، كَمَا فَعَلَ قَوْمُ سَبَّأٍ، طَلَبُوا وَتَمَنَّوْا أَنْ تَتْبَاعَدَ أَسْفَارُهُمْ بَيْنَ تِلْكَ الْفُرَى، بَعْدَ أَنْ كَانَ السَّيْرُ فِيهَا سَهْلًا مُتَيَسِّرًا، {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ}.

وَمِنْ هِدَايَةِ الْآيَاتِ: عِظَمُ نِعْمَةِ الْأَمْنِ، قَالَ تَعَالَى: {سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ}، وَلَقَدْ أَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُرَيْشٍ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، فَقَالَ: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا النَّبِيِّ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْصَنِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، أَمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَانَ مِمَّا حِزَّتْ لَهُ الدُّنْيَا». [رواه الألباني وابن ماجه، ومختلة الألباني]. فتأملوا، رَعَاكُمْ اللَّهُ، فِي خَالِكُمْ، وَمَا تَعِيشُونَهُ الْيَوْمَ مِنْ أَمْنٍ عَلَى الْبُيُوتِ وَالْأَوْلَادِ، وَصِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ لَا يُحْصِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْعِبَادِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.